Cambridge International

Professional Research Thesis

Titled

The miraculous nature of the Qur'an in expressing affection and mercy in the relationship between husband and wife (an analytical study).

Researcher

NahedSaad Ahmed Mohamed

Supervisor signature

2026

Research intellectual property rights reserved to Cambridge International College

عنوان الرسالة:

إعجاز القرآن في التعبير بالمودة والرحمة في العلاقة بين الزوج والزوجة(دراسة تحليلية) .

اسم الباحثة:

ناهد سعد أحمد محمد .

سنة التقديم

.2026

المقدمــة

يُعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلمهدايةً للبشرية جمعاء، وميزاناً يقوم به شأن الحياة في كلّ جوانبها، ومن أبرز الجوانب التي أولاها القرآن عنايةً بالغة :العلاقة الزوجية التي أسّس لها تأسيساً ربانياً محكماً، وصوّر جوهرها في كلمتين جامعتين هما :المودة والرحمة .

وقد جاء هذا التصوير القرآني في قوله تعالى في سورة الروم :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهي آية تختزل فلسفة القرآن في بناء الأسرة، وترسم ملامح العلاقة الزوجية المثلى بأرقى صورة إنسانية روحية .

وتكمن عظمة هذا التعبير القرآني في انتقاء الألفاظ بدقة إعجازية، إذ يمتاز القرآن الكريم في أسلوبه البياني باختيار الكلمة الفريدة التي تحمل من المعاني ما يعجز أيّ تعبير بشري عن بلوغه فالمودة ليست مجرد حبٍّ عاطفي عابر، بل هي إرادة الخير وإدامة الألفة، والرحمة ليست رثاءً للضعيف، بل هي اللطف الفاعل الذي يُلمّ شعث الأيام ويُسدّ ثغرات النقص في كلٍّ من الزوجين

وفي ظلّ ما يعانيه العالم المعاصر من تفكّك أسري وضعف في منظومة القيم الزوجية، تأتي الدراسة التحليلية للتعبير القرآني عن المودة والرحمة ضرورةً بحثية وحاجة واقعية، تُسهم في إعادة تأصيل العلاقة الزوجية وفق المنظور الرباني القويم .ذلك أن القرآن لم يقتصر على سرد الحكمة من الزواج، بل رسم منظومة شاملة من القيم والمبادئ يمكن إذا ما فُهمت حقّ الفهم أن تكون علاجاً ناجعاً لكثير من الأمراض الاجتماعية .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان" :**إعجاز** القرآن في التعبير بالمودة والرحمة في العلاقة بين الزوج والزوجة – دراسة تحليلية"، لتتناول هذا الموضوع الجليل من حيث أبعاده اللغوية والبيانية والتفسيرية والمقارنة، مستعينةً بكتب التفسير والعلوم القرآنية وعلم اللغة والدراسات الأسرية، ساعيةً إلى الكشف عن وجوه الإعجاز البياني في آيات المودة والرحمة، وبيان أثرها التربوي والاجتماعي في حياة الزوجين .

وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل البنية الدلالية لمفهومَي المودة والرحمة في النص القرآنيواستخلاص منظومة القيم التي يرسيها القرآن لبناء العلاقة الزوجية، وربط ذلك بالواقع الأسري المعاصر، مع إبراز أوجه الإعجاز البياني والتشريعي في هذا السياق، لتكون الدراسة إسهاماً في إثراء الأدبيات القرآنية والأسرية .

مشكلة الدراسة

على الرغم من ثراء المكتبة الإسلامية بالدراسات القرآنية والتفسيرية، إلا أن التناول التحليلي المتخصص لظاهرة الإعجاز البياني في آيات العلاقة الزوجية – لا سيما في مفهومَي المودة والرحمة – لا يزال يفتقر إلى الدراسات المعمّقة التي تجمع بين التحليل اللغوي والبياني والتفسيري وعلم اللغة الحديث، مع ربط ذلك كله بالواقع الأسري .

ومما يزيد الحاجة إلحاحاً أن أزمة الأسرة المعاصرة في كثير من المجتمعات تكشف عن غياب الفهم الصحيح لمنظومة القيم الزوجية، وانحسار الوعي بالمرجعية القرآنية في تأسيس العلاقة الزوجية وتجذيرها .فضلاً عن الفصل القائم أحياناً بين الدراسات الشرعية والأسرية من جهة والتحليل البلاغي والبياني للنص القرآني من جهة أخرى، بما يجعل ثمرة كلٍّ من المجالين منقوصة .في معالجة هذه القضية .

وتتمحور مشكلة هذه الدراسة حول التساؤل الجوهري :ما وجوه الإعجاز القرآني في التعبير بالمودة والرحمة في سياق العلاقة الزوجية؟ وكيف يرسم القرآن الكريم من خلال هذين المفهومين منظومةً متكاملة لبناء العلاقة الزوجية تقوم على الإنسانية والروحانية معاً؟ وما الأثر التربوي والاجتماعي لهذه الرؤية القرآنية في الحياة الزوجية؟

أهمية الدراسة

تستمدّ هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها القرآني الذي يلتقي فيه علمٌ جليل بحاجة واقعية ملحّة؛ فهي دراسة في الإعجاز القرآني أولاً، وفي الأسرة ومشكلاتها ثانياً، وفي التراث اللغوي والبلاغي ثالثاً .

وتتجلى الأهمية العلمية للدراسة في إسهامها في إثراء مجال الدراسات القرآنية المتخصصة بتحليل بياني لغوي عميق لآيات المودة والرحمة، وكشف أبعادها الدلالية وإعجازها البياني عبر مناهج تحليلية متنوعة تجمع بين علوم القرآن واللغة العربية والتفسير .كما أن الدراسة تقدّم نموذجاً للربط بين الدراسة النصية القرآنية والدراسة الأسرية الاجتماعية المعاصرة، وهو مجال بحثي يفتقر إلى الأعمال المتخصصة في المكتبة العربية الإسلامية .

أما الأهمية التطبيقية للدراسة، فتتمثل في ما تقدمه من فهم راسخ لمنظومة القيم الزوجية القرآنية يمكن أن يُوظَّف في التوجيه الأسري والإرشاد الزواجي، وفي مناهج التربية الإسلامية، وفي البرامج الإعلامية والتثقيفية التي تُعنى بالأسرة .فضلاً عن توجيه المصلحين والباحثين الاجتماعيين نحو المرجعية القرآنية في معالجة الأزمات الأسرية .

وتزداد أهمية الدراسة في ضوء التحولات الاجتماعية المتسارعة التي تعصف بالأسرة المسلمة وتُسهم في توهين قيم المودة والرحمة لصالح القيم المادية والنزعات الفردية، مما يجعل إعادة إحياء هذه المفاهيم القرآنية ونشرها وتعميقها أمراً ذا أولوية قصوى .

أهداف الدراسة

- تحليل البنية الدلالية والبيانية لمفهومَي المودة والرحمة في القرآن الكريم
- الكشف عن وجوه الإعجاز البياني والتشريعي في الآيات المتعلقة بالعلاقة الزوجية
- استخلاص المنظومة القيمية التي يرسيها القرآن لبناء العلاقة بين الزوجين
- تتبّع توظيف علماء التفسير والبيان لهذين المفهومين عبر تاريخ الدراسات القرآنية
- ربط الرؤية القرآنية لمفهومَي المودة والرحمة بالواقع الأسري المعاصر ومعالجة إشكالاته

فروض وتساؤلات الدراسة

فروض الدراسة

- يتضمّن القرآن الكريم في آيات المودة والرحمة وجوهاً إعجازية بيانية ودلالية تفوق ما في التعبير البشري من قدرة على تصوير العلاقة الزوجية
- ثمّة فروق دلالية جوهرية في القرآن الكريم بين مفهوم المودة والمفاهيم المتقاربة كالحب والألفة والمحبة
- يرسم القرآن الكريم من خلال مفهومَي المودة والرحمة منظومةً متكاملة وشاملة للعلاقة الزوجية تقوم على التكامل والرعاية المتبادلة
- للتعبير القرآني عن المودة والرحمة أثرٌ تربوي واجتماعي واضح في بناء الأسرة المسلمة

تساؤلات الدراسة

- ما المعنى الدقيق للمودة والرحمة في الاستعمال القرآني، وما علاقتهما بسياق الآية؟
- ما وجوه الإعجاز البياني في توظيف هذين المفهومين في الخطاب القرآني عن الزواج؟
- كيف تناول المفسرون والبيانيون مفهومَي المودة والرحمة في آيات العلاقة الزوجية؟
- ما العلاقة التكاملية بين المودة والرحمة في تشييد بنيان الحياة الزوجية؟
- كيف يمكن توظيف الرؤية القرآنية لهذين المفهومين في معالجة إشكاليات الأسرة المعاصرة؟

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة موضوعها، إذ يقتضي تحليل النص القرآني وتقصّي أبعاده الدلالية والبيانية وصفَ المفاهيم وتحليلها تحليلاً عميقاً .كما تستخدم الدراسة المنهج المقارن لبيان الفروق الدلالية بين المودة والرحمة وغيرهما من المصطلحات المتقاربة، إلى جانب المنهج الاستنباطي في استخلاص وجوه الإعجاز وقواعد التربية الزوجية من النصوص القرآنية .

حدود الدراسة

الحدود المكانية :المكتبة التفسيرية والبلاغية العربية الإسلامية .

الحدود الزمانية :المصادر التفسيرية من صدر الإسلام إلى الدراسات المعاصرة حتى عام 2025م

خطة الدراسة

سوف تنتظم خطة الدراسة على النحو التالي عدة فصول وعدة مباحث ومطالب وخاتمة كما يلي

الفصل الأول :الإطار النظري ومفاهيم الدراسة

المبحث الأول :مدخل إلى الإعجاز القرآني

أولاً :مفهوم الإعجاز القرآني وأنواعه

ثانياً :الإعجاز البياني في القرآن الكريم وخصائصه

ثالثاً :مناهج دراسة الإعجاز البياني عند العلماء

المبحث الثاني :مفهوم المودة والرحمة في القرآن الكريم

أولاً :الجذر اللغوي لكلمة "مودة "ودلالاتها القرآنية

ثانياً :الجذر اللغوي لكلمة "رحمة "ودلالاتها القرآنية

ثالثاً :العلاقة الدلالية بين المودة والرحمة في الحقل القرآني

الفصل الثاني :التحليل البياني لآيات المودة والرحمة في العلاقة الزوجية

المبحث الأول : دراسة تحليلية لآية المودة والرحمة (سورة الروم :21)

أولاً :السياق القرآني للآية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها

ثانياً :التحليل اللغوي والبياني للآية

ثالثاً :وجوه الإعجاز في اختيار لفظتَي المودة والرحمة دون غيرهما

المبحث الثاني :توظيف المودة والرحمة في القرآن الكريم في سياقات أخرى

أولاً :ورود المودة في القرآن الكريم وأبعادها الدلالية

ثانياً :ورود الرحمة في القرآن الكريم وأبعادها الدلالية

ثالثاً :مقارنة السياقات ودلالاتها على الإعجاز

المبحث الثالث : توظيف الرؤية القرآنية في معالجة الواقع الأسري المعاصر

أولاً :التحديات الأسرية المعاصرة في ضوء غياب قيم المودة والرحمة

ثانياً :الحلول القرآنية لأزمة الأسرة من خلال إحياء مفهومَي المودة والرحمة

الفصل الأول :الإطار النظري ومفاهيم الدراسة

المبحث الأول :مدخل إلى الإعجاز القرآني

الإعجاز القرآني مفهومٌ عميق الجذور في التراث الإسلامي، ضاربٌ في أعماق الدراسات البلاغية والكلامية والتفسيرية على مرِّ القرون، وقد شغل هذا المفهوم عقول العلماء والمفكرين منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، دون أن تتوقف حركة البحث والاستكشاف في دهاليزه المتشعبة وآفاقه الرحيبة .

وإذا كان ثمة موضوع واحد يجمع بين الفقيه واللغوي والمتكلم والمفسر والفيلسوف في خندق واحد فهو موضوع الإعجاز القرآني الذي ظلَّ على مرِّ العصور محركًا للعقل المسلم ومثيرًا لأسئلته الكبرى.

وقبل الخوض في تفصيل مفهوم الإعجاز وأنواعه، تجدر الإشارة إلى أن كلمة "الإعجاز "في اللغة العربية مشتقة من الجذر(ع–ج–ز) وهو جذر يدل على العجز والقصور وعدم القدرة

يقول ابن منظور في لسان العرب" :أعجزه الشيء إذا وجده عاجزًا عنه"، ومنه أُخذ الإعجاز بمعنى الإتيان بما يُعجز الآخرين ويُقعدهم عن مجاراته أو معارضته .وعلى هذا، فإعجاز القرآن يعني بلوغه درجةً من الكمال والسمو تجعل البشر جميعًا عاجزين عن الإتيان بمثله .

أما في الاصطلاح العلمي، فقد تعددت تعريفات العلماء للإعجاز القرآني تبعًا لاختلاف زوايا نظرهم ومناهجهم المعرفية، وإن كانت جميعها تلتقي في جوهر واحد .فقد عرَّفه الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن "بأنه خروج القرآن عن المعهود في كلام البشر إلى درجة لا يستطيع أحد من الإنس"

والجن أن يأتي بسورة من مثله، مستدلًا بقوله تعالى :﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء :88.

وكان الباقلاني من أوائل من أسَّس لهذا الفن وأعطاه أبعاده المنهجية المنضبطة .

وذهب الرماني في "النكت في إعجاز القرآن "إلى تقسيم الإعجاز إلى سبعة وجوه هي :ترك المعارضة مع توفر الدواعي والهمم، والتحدي للكافة، وصرف العرب عن معارضته مع قدرتهم على الكلام، وبلاغته التي تخرج عن قدرة البشر، وما فيه من الأخبار الصادقة عن الغيوب، ونقضه العادة في العلوم الكثيرة، وما تضمنه من علوم لم تعهدها العقول .وهذا التصنيف الدقيق من الرماني يكشف عن نضج مبكر في التفكير المنهجي لمسألة الإعجاز .

وفي عصرنا الحديث، توسَّع مفهوم الإعجاز القرآني ليشمل مجالات لم تكن محلَّ اعتبار واضح عند المتقدمين، فظهرت نظريات الإعجاز العلمي والإعجاز العددي والإعجاز التاريخي إلى جانب الإعجاز البياني الأصيل .وقد انقسم العلماء المعاصرون في تقييم هذه المجالات الجديدة؛ فبينما رحَّب بها فريق منهم واعتبرها إضافة ثرية تُعزز من وجوه إعجاز القرآن، توقَّف فريق آخر عندها بالنقد والتمحيص، خشية الإسراف في التأويل أو الخروج عن أسس التفسير السليم .

وتبقى أبرز أنواع الإعجاز القرآني التي أجمع عليها جمهور العلماء خمسة رئيسية :الإعجاز البياني أو البلاغي، وهو المحور الأول والأصيل في الدراسات القرآنية، إذ يتعلق بفصاحة القرآن وبلاغته وأسلوبه المتفرد الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم .والإعجاز التشريعي المتمثل في المنظومة القانونية والأخلاقية الشاملة التي جاء بها القرآن والتي تُقرُّ بصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان .والإعجاز الغيبي المتجلي فيما أخبر به القرآن من وقائع ستقع في المستقبل فتحققت فعلًا كما في قوله تعالى :﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الروم :2 وما تلاه من وعد بانتصارهم .والإعجاز

العلمي الذي يرى أصحابه أن القرآن أشار إلى حقائق علمية لم تكتشفها البشرية إلا في العصر الحديث .وأخيرًا الإعجاز النفسي والتأثيري الذي يتجلى في القدرة الفائقة للقرآن على التأثير في النفوس وتحريك الوجدان وإثارة المشاعر الإنسانية العميقة .

وقد لفت الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره "المنار "إلى أن وجه الإعجاز الأقوى والأثبت هو الإعجاز البياني، قائلًا إن العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا أقدر الناس على معارضته لو كان ذلك ممكنًا، وقد حاولوا فعجزوا، وهذا العجز الموثَّق في صفحات التاريخ والموثَّق في نص القرآن ذاته دليلٌ ساطع على أن هذا الكتاب ليس من كلام البشر .

ثانياً :الإعجاز البياني في القرآن الكريم وخصائصه .

إذا كان الإعجاز القرآني ذا وجوه ومستويات متعددة كما بيَّنا، فإن الإعجاز البياني يمثِّل الجذر الأصيل والأساس الراسخ الذي قامت عليه نظرية الإعجاز في مراحلها الأولى، وهو المجال الذي استقطب اهتمام أكبر علماء العربية وبلاغييها على مرِّ العصور .ويُراد بالإعجاز البياني ذلك الوجه من وجوه إعجاز القرآن الذي يتجلى في اختيار الألفاظ وتركيب الجمل وتنسيق الصور البلاغية تنسيقًا يبلغ حدَّ الكمال الذي يتعالى على طاقة البشر .

وللإعجاز البياني في القرآن الكريم خصائص تميِّزه تمييزًا جوهريًا عن سائر البلاغات البشريةوقد أفاض العلماء في تحليل هذه الخصائص واستجلاء أبعادها .ولعل أبرز ما يميَّز به الإعجاز البياني القرآني انتظامه الأسلوبي الفريد الذي يجمع بين السهولة والعمق، والبساطة والثراء، والإيجاز والاستيفاء، وهو جمع لا يتحقق في كلام بشري إلا بمشقة واضحة ومجهود ظاهر، بينما يتجلى في القرآن الكريم بصورة عفوية ناعمة كأنها فطرة متأصلة .

والخاصية الأولى التي تستوقف الباحث في الإعجاز البياني هي الدقة الاختيارية للألفاظ .فكلمة القرآن مختارة في موضعها اختيارًا يجعلها بلا بديل مقبول، وقد أفنى علماء البلاغة كثيرًا من جهودهم في إثبات هذه الحقيقة بالتحليل والتدليل .يقول الزمخشري في "الكشاف "وهو يتحدث عن الإعجاز اللفظي :إن القرآن لو استُبدل بكلمة منه كلمةٌ غيرها لانكسر النظم وضاع الجمال .وهذا الكلام ليس ضربًا من المبالغة الخطابية، بل هو نتيجة استقراء وتحليل معمَّق أثبته الباحثون بأمثلة وفيرة عبر قرون متتالية .

وتبرز الخاصية الثانية في ما يسميه علماء البلاغة "النظم القرآني"، وهو المفهوم الذي أسَّس له الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه البديع "دلائل الإعجاز"، إذ يرى الجرجاني أن الإعجاز لا يكمن في مجرد اختيار الألفاظ ولا في مجرد الصور البلاغية المبثوثة في النص، بل إن الإعجاز يكمن في طريقة نظم هذه الألفاظ وترتيبها بعضها مع بعض وفق نسق يكشف عن علاقات دلالية عميقة بين المفردات .ويؤكد الجرجاني أن الفضيلة في الكلام إنما هي في ترتيب المعاني في النفس ثم في ترتيب الألفاظ وفق هذا الترتيب المعنوي، وأن هذا الترتيب المزدوج هو الذي يصنع الإعجاز في القرآن الكريم .

وتكشف الخاصية الثالثة للإعجاز البياني عن ظاهرة الإيقاع الصوتي الذي تتميَّز به آيات القرآن الكريم تميُّزًا لافتًا .فالقرآن ليس شعرًا وليس نثرًا مرسلًا وليس سجعًا، بل هو نمط خاص به يجمع من كل هذه الأشكال ما يخدم المعنى ويُعلي من قدر التعبير دون أن يقع في قيود أيٍّ منها وقد لاحظ علماء التجويد والقراءات أن الإيقاع الصوتي للقرآن يتكيَّف مع مضامين الآيات تكيُّفًا دقيقًا؛ فآيات الرحمة والوداعة تأتي بأصوات ليِّنة ومقاطع رخية، وآيات الوعيد والتهديد تأتي بأصوات شديدة ومقاطع قاطعة .

أما الخاصية الرابعة فتتمثَّل في الطاقة الإيحائية الهائلة للقرآن الكريم، وهي خاصية تتجلى في قدرة الآية القرآنية الواحدة على استيعاب معانٍ متعددة ودلالات متشعبة على نحو يجعل كل قراءة جديدة للنص تُفضي إلى اكتشافات تأويلية جديدة .وقد عبَّر ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الخاصية بقوله" :لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء"، وهو تعبير يكثِّف ما لاحظه الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من أن القرآن لا يُستنفد .

وتتجلى الخاصية الخامسة في قدرة القرآن الكريم على المزاوجة بين الصور المحسوسة والمعاني المجردة، وهي قدرة نادرة في أي بيان بشري .فالقرآن يصف الحقائق الغيبية المجردة من رحمة الله وعذابه ونعيمه بصور حية موجِّهة تتحسسها الحواس وتتفاعل معها الوجدانات، لا كما يفعل الفلاسفة والمتكلمون الذين يصوغون المعاني المجردة في قوالب منطقية جافة .ويرى الغزالي في إحياء علوم الدين "أن هذه المزاوجة هي أحد أسرار تأثير القرآن الكريم في القلوب على اختلاف" مستوياتها وثقافاتها .

ثالثاً :مناهج دراسة الإعجاز البياني عند العلماء .

لم تكن دراسة الإعجاز البياني في القرآن الكريم خطًا واحدًا مستقيمًا، بل كانت مسيرة علمية حافلة بالتنوع والثراء والتجديد، شهدت تحوّلات منهجية كبرى على امتداد التاريخ الإسلامي .وقد أفرزت ،هذه المسيرة جملةً من المناهج المتمايزة التي تعكس خلفيات أصحابها الفكرية واهتماماتهم العلمية وإن كانت جميعها تلتقي في هدف جامع هو الكشف عن سرِّ تفرد القرآن الكريم وتجلية جوانب إعجازه .

ويمكن الحديث أولًا عن المنهج الكلامي أو العقدي في دراسة الإعجاز البياني، وهو أقدم هذه المناهج وأشدها ارتباطًا بالجدل العقدي الذي شهده القرن الثالث والرابع الهجريين .وقد برز هذا المنهج في مواجهة المعتزلة من جهة، وفي مواجهة التحديات الفكرية والشكوك التي أثارها بعض المناوئين للإسلام من جهة أخرى .ومن أبرز ممثلي هذا المنهج الإمام أبو الحسن الأشعري وتلميذه القاضي الباقلاني، الذي سعى في كتابه "إعجاز القرآن "إلى تأسيس موقف عقدي صارم يُثبت تعذُّر المعارضة على أساس نظري متين .ويتميز هذا المنهج بتركيزه على إثبات أصل الإعجاز وإقامة الحجة عليه أكثر من تحليل تفاصيله وتجلياته .

وثمة المنهج البياني البلاغي الخالص الذي تجلَّى بصورته النضيجة في كتابي عبد القاهر الجرجاني" :دلائل الإعجاز "و"أسرار البلاغة"، وهو المنهج الأكثر أصالةً وعمقًا في تاريخ الدراسات البلاغية العربية .يرفض الجرجاني في هذا المنهج إرجاع الإعجاز إلى عناصر منفردة كالألفاظ وحدها أو المعاني وحدها، ويرى أن الإعجاز يكمن في طريقة النظم وتأليف الكلام، أي في الطريقة التي تتراتب بها المفردات وتتعالق فيما بينها لتُنتج دلالة تفوق مجموع دلالاتها المنفردة .

وقد استطاع الجرجاني بهذا المنهج أن يُرسي قواعد نظرية للإعجاز البياني لا تزال إلى اليوم مرجعًا أساسيًا في هذا الحقل .

ويتمايز عن ذلك المنهج الإحصائي الأسلوبي الذي استعمله بعض العلماء المتأخرين وكثيرٌ من الباحثين المعاصرين، وهو منهج يقوم على رصد الظواهر اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم ووصفها وصفًا كميًا ونوعيًا، ثم مقارنتها بنظائرها في الكلام البشري الرفيع .ومن أبرز ما أفرزه ،هذا المنهج الدراسات المتعلقة بالتكرار القرآني وأسراره، والتناسب بين فواصل السور والمضامين وظاهرة التوازن بين المفردات المتضادة والمتكاملة في القرآن الكريم كما بحثه محمد فاضل السامرائي في مؤلفاته .

وعلى صعيد المنهج المقارن، سعى بعض الباحثين إلى مقارنة الأسلوب القرآني بأرقى النصوص الأدبية في اللغة العربية كشعر امرئ القيس والمتنبي ونثر الجاحظ وابن المقفع، بهدف إبراز ما يميِّز الأسلوب القرآني ويُفرده عن هذه النصوص مهما بلغت من الرفعة والسمو .ومن أبرز من سلك هذا المنهج الإمام محمد عبده في بعض مقالاته، والدكتور مصطفى صادق الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية "الذي أكَّد فيه أن الأسلوب القرآني يمثِّل سقفًا لا يبلغه أي كلام بشري كيف ما أوتيت أدواته وأمكنت مواهبه .

وأخيرًا ظهر في العصر الحديث ما يمكن تسميته المنهج التداولي أو التفسير السياقي للإعجاز البياني، وهو يعتمد تحليل النص القرآني في ضوء السياقات التداولية المختلفة، أي دراسة كيفية استعمال القرآن للغة في مقامات وأحوال متنوعة وتكييف الأسلوب مع طبيعة كل مقام .ويرى أصحاب هذا المنهج أن من أبرز وجوه الإعجاز البياني قدرة القرآن على ملاءمة الأسلوب للمقام ملاءمة متكاملة تجعل كل آية في موضعها الأمثل .وقد أسهم في هذا الاتجاه عدد من الباحثين

المعاصرين المتأثرين بعلم اللغويات التداولية الحديث، الذين وجدوا في المنهج الغربي أداةً صالحة لتجليل ما توصَّل إليه أسلافهم من العلماء المسلمين بصياغة أكثر دقة وانضباطًا .

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الإعجاز القرآني مفهوم راسخ في الوعي الإسلامي، متعدد الأوجه والمستويات، وأن الإعجاز البياني يمثِّل قلبه الأصيل وجوهره المتجدد .وقد أسهم علماء الإسلام عبر مناهج متنوعة في تحليل هذا الإعجاز وتجليته، وهو عطاء علمي ضخم يُمثِّل رصيدًا لا غنى عنه لكل باحث في هذا الميدان الشريف .وفيما يلي، سننتقل إلى استعراض مفهوم المودة والرحمة في القرآن الكريم لنضع الأساس النظري الكافي لتحليل الآيات المتعلقة بهما في الفصل الثاني .

المبحث الثاني :مفهوم المودة والرحمة في القرآن الكريم

يُعدُّ هذا المبحث من أكثر المباحث التأسيسية أهمية في هذه الدراسة، إذ يُمثِّل الركيزة المعرفية والدلالية التي تقوم عليها سائر التحليلات في الفصول اللاحقة .فالوقوف على الجذور اللغوية لكلمتَي "المودة "و"الرحمة "ورصد تحولاتهما الدلالية عبر السياقات القرآنية المتعددة ليس ترفًا بحثيًا أو استطرادًا أكاديميًا، بل هو الخطوة الضرورية التي لا يمكن تجاوزها لمن أراد أن يفهم طبيعة الإعجاز في توظيف هاتين اللفظتين في سياقات بعينها، ولا سيما في آية المودة والرحمة من سورة الروم التي تُعدُّ محور هذا البحث ومنطلقه .

وقد كان علماء العربية والمفسرون على إدراك تام بأن الفهم الصحيح للنص القرآني يبدأ من الفهم الصحيح للكلمة في أصلها اللغوي وامتداداتها الاستعمالية، وهو مبدأ راسخ في التفسير الإسلامي منذ عصر الصحابة الكرام .فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يُعلِّم طلابه أن يبدأوا من اللغة عند التفسير، قائلًا" :إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب ."وعلى هذا المنهج الراسخ سنسير في استقصاء دلالات المودة والرحمة، مستضيئين بكنوز المعاجم العربية الكبرى وبما أثَّله العلماء من فروق دلالية دقيقة .

أولاً :الجذر اللغوي لكلمة "مودة "ودلالاتها القرآنية .

➢ أصل المادة اللغوية(و–د–د)

تنتمي كلمة "مودة "إلى المادة اللغوية(و–د–د) ،وهي مادة ذات حضور واسع في المعجم العربي ، محكمة البناء، غنية الدلالات، عميقة الجذور في البيان العربي الجاهلي والإسلامي.

ويُجمع أئمة اللغة على أن هذا الجذر يدور في معناه الأصلي حول المحبة والتمني والتعلق القلبي العميق، غير أنه يتميز من بين الجذور الدالة على المحبة بخصائص دلالية فارقة ستتبيَّن في ما يأتي .

يقول ابن فارس في "مقاييس اللغة "عند حديثه عن هذه المادة" :الواو والدال أصلان متقاربان أحدهما المحبة، والآخر التمني ."وهذا الجمع بين المحبة والتمني في أصل الاشتقاق الواحد ظاهرة دلالية بالغة الأهمية، إذ يُشير إلى أن الوُدَّ ليس مجرد محبة ساكنة تُكتنز في الصدر، بل هو محبة ذات طاقة توجُّهية نحو الآخر، محبة تتمنى الخير للمحبوب وتسعى إلى وصاله وديمومة العلاقة به .وهذا ما يُفرِّق الوُدَّ عن الحبِّ المجرد من الإرادة والفعل .

:وفي "لسان العرب "لابن منظور، يُحدِّد صاحبه الفرق بين الوُدِّ والمحبة تحديدًا دقيقًا حين يقول"الوُدُّ الحُبُّ، ومن خصائصه أنه يدل على صفاء المحبة واستقرارها، بخلاف الهوى الذي يدل على "الانجذاب العاطفي المتقلب .

ويستشهد ابن منظور بقول العرب :"وَدِدْتُ الشيء أَوَدُّه وِدًّا ووُدًّا ومودةً"، مُشيرًا إلى أن التصريف الثلاثي لهذه المادة يدور كله حول معنى واحد هو الاستقرار العاطفي والثبات على المحبة .

أما الراغب الأصفهاني، الذي يُعدُّ من أدق العلماء في تحليل مفردات القرآن الكريم، فيقول في المفردات في غريب القرآن" :"الوُدُّ :محبة الشيء وتمني كونه، وهو أكثر ما يُستعمل فيما يُتمنى" حصوله مع مخالطة وصحبة ."وهذا التحديد الأصفهاني يكشف بعدًا مهمًا في دلالة الوُدِّ وهو ارتباطه بالمصاحبة والمخالطة؛ فالوُدُّ ليس محبة عابرة بل هو محبة تسكن قلب صاحبها تجاه من يصحبه ويعيش معه، وهذا ما يجعله أنسب لفظٍ للتعبير عن علاقة الزوجية التي تقوم أساسًا على المعاشرة والمخالطة .

- **ورود مادة الوُدِّ في القرآن الكريم**

وردت مادة((و–د–د) في القرآن الكريم في مواضع متعددة تكشف بمجموعها عن ثراء دلالي متنوع يمتد من أعلى مراتب المحبة الربانية إلى التحذير من المحبة المشوبة بالغرض والهوى .وقد رصد العلماء المعنيون بالدراسات المعجمية القرآنية نحو خمسة وعشرين موضعًا في القرآن الكريم وردت فيها هذه المادة بمشتقاتها المختلفة .

،والمستوى الأول من مستويات توظيف هذه المادة في القرآن هو الوُدُّ الإلهي تجاه عباده المؤمنين وهو مستوى دلالي رفيع يصف تعلق الله سبحانه بعباده المحسنين .ومن أبرز ما ورد في هذا :المستوى قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم :96

وهذه الآية من أكثر الآيات كثافةً دلالية في توظيف مادة الوُدِّ، إذ تجعل الوُدَّ مقرونًا باسم الرحمن مما يشير إلى أن هذا الوُدَّ الإلهي ليس مجرد قبول أو رضا، بل هو محبة خاصة تُفيض على صاحبها بركات الرحمة والعطاء .

وقد لاحظ الزمخشري في تفسيره "الكشاف "أن اختيار اسم "الرحمن "دون سائر الأسماء في هذا السياق إشارة إلى أن هذا الوُدَّ صادر عن سعة الرحمة الإلهية وشمولها، لا عن استحقاق من العبد وحده .

وفي المستوى الثاني، يأتي الوُدُّ بمعنى التمني والرغبة في حصول أمر ما، كما في قوله تعالى

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ البقرة :96

وهنا يتجلى البُعد التمني في الوُدِّ بصورة واضحة، إذ يصف القرآن شدة رغبة المنافقين والكافرين في البقاء والتعمير هروبًا من لقاء الله .وقد أجاد الفراء في "معاني القرآن "حين ربط بين الدلالة المحبية والتمنية في هذا الموضع، مبيِّنًا أن الوُدَّ هنا محبة مصحوبة بالتمني الشديد لما لا يُرجى حصوله، وهو ما يُفسِّر استخدام "لو "بعده دون سواها من أدوات التمني .

وفي المستوى الثالث، يرد الوُدُّ للتحذير من محبة الأعداء وموالاتهم كما في قوله تعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المجادلة :22

وفي هذا المستوى تتكشَّف خاصية ثالثة في دلالة الوُدِّ وهي أنه يُفيد التبادل والتواصل، فالمفاعلة في "يوادُّون "تدل على أن الوُدَّ علاقة ذات اتجاهين تجمع بين طرفين وتقوم على المشاركة .وقد ذهب ابن عاشور في "التحرير والتنوير "إلى أن استخدام صيغة المفاعلة في هذه الآية يُشير إلى أن ما ينهى عنه القرآن هو إقامة علاقة محبة متبادلة مع أعداء الله، لا مجرد الإحساس بالميل نحوهم .

➢ **خصائص دلالة المودة في حقل الزوجية**

من أهم ما تكشفه الدراسة الدلالية لمادة الوُدِّ في القرآن الكريم أن هذه المادة تحمل في ثناياها ثلاثة أبعاد دلالية متكاملة تجعلها الأنسب للتعبير عن العلاقة الزوجية .

البُعد الأول هو الاستقرار والديمومة؛ فالوُدُّ في أصل استعماله العربي يدل على المحبة الراسخة المستقرة لا المتقلبة العارضة .

والبُعد الثاني هو التوجه الإيجابي نحو الآخر؛ فالوُدُّ كما رأينا مشوب بالتمني، أي أنه محبة تسعى إلى الخير للمحبوب وتتمنى له السعادة .

والبُعد الثالث هو الارتباط بالمعاشرة والمصاحبة كما نبَّه الراغب الأصفهاني، وهو البُعد الذي يجعل المودة ملائمة تمامًا لوصف علاقة الزوجين التي تقوم على المساكنة والمشاركة في الحياة اليومية .

وقد أشار الطبري في "جامع البيان "إلى أن كلمة "مودة "في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم :21 [تختص بأعلى درجات المحبة الزوجية وأرسخها، وذلك لأن صيغة "مفعلة في "مودة "تدل على المبالغة في الوصف وشدة الصفة، أي أن المودة ليست مجرد وُدٍّ عادي بل هي وُدٌّ بلغ منتهاه في القلب وترسَّخ فيه ترسخًا عميقًا .وهذه الصيغة الصرفية المميزة تُضيف إلى الدلالة الأصلية للمادة بُعدًا كثافيًا يجعلها أشد ملاءمة للتعبير عن العاطفة الزوجية.

ثانياً :الجذر اللغوي لكلمة "رحمة "ودلالاتها القرآنية .

- **أصل المادة اللغوية(ر–ح–م)**

مادة (ر–ح–م) من أوسع المواد اللغوية انتشارًا في القرآن الكريم وأكثرها عمقًا في الثقافة الإسلاميةإذ ترتبط بأحد أبرز الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى، وتُمثِّل بُعدًا محوريًا في رؤية الإسلام للعلاقة بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان .ولهذا كانت دراسة هذه المادة دراسةً وافية أمرًا لا غنى عنه لكل باحث في إعجاز القرآن الكريم.

يقول ابن فارس في "مقاييس اللغة" :"الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والحنان ."وهذا التحديد الجامع يضع أيدينا على لبِّ الدلالة في هذه المادة؛ فالرحمة ليست مجرد إعطاء أو معروف، بل هي في أصل معناها حالة نفسية تجمع بين الرقة والعطف والحنان، أي أنها وجدان قبل أن تكون فعلًا، وإحساس قبل أن تكون عطاء .

ويُضيف الراغب الأصفهاني بُعدًا آخر حين يقول في "المفردات" :"الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ."وهذا التعريف يكشف عن الطابع الوظيفي للرحمة؛ فهي ليست رقة عاطلة عن الأثر، بل هي رقة فاعلة تستلزم الإحسان والعطاء للمرحوم .وهذا ما يُميِّز الرحمة عن العطف المجرد؛ فالعطف قد يبقى في حدود المشاعر دون أن ينبثق عنه فعل، أما الرحمة فهي بطبيعتها دافعة للعطاء والخدمة .

ومن أدق ما قيل في تأصيل هذه المادة ما أشار إليه بعض علماء اللغة من أن الرحِم بكسر الراء هو رحم المرأة بالمعنى التشريحي (والرحمة بالمعنى الوجداني يشتركان في أصل واحد، وذلك لأن الرحم هو العضو الذي يحضن الجنين ويرعاه ويُؤمِّن له البيئة المناسبة للنمو والحياة، فهو صورة

مادية للمعنى المعنوي للرحمة .وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الترابط بقوله" :إن الله خلق الرحمة يومَ خلقها مئةَ رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدة"، مُبيِّنًا أن الرحمة في جوهرها عطاء مُحيط وحنان شامل .

- **مادة الرحمة في القرآن الكريم :استقراء وتحليل .**

تُعدُّ مادة((ر–ح–م) من أكثر المواد ورودًا في القرآن الكريم، إذ أحصى علماء المعجم القرآني ورودها في نحو مئتين وثمانية وستين موضعًا، وهو رقم يكشف عن مكانة مركزية لهذه المادة في بناء الخطاب القرآني .وقد تنوَّعت مشتقاتها في القرآن الكريم بين الاسم والصفة والفعل لتُغطِّي طيفًا واسعًا من السياقات والمعاني .

"ويأتي في طليعة توظيفات هذه المادة في القرآن اقترانها بأسماء الله سبحانه؛ فـ"الرحمن "و"الرحيم اسمان إلهيان من أبرز ما يُستهل به كل سورة من سور القرآن في البسملة، ويتكررُ وصفُه سبحانه بهما في مئات المواضع .وقد أفاض العلماء في الفرق بين الاسمين؛ فذهب كثيرون إلى أن الرحمن يدل على سعة الرحمة وشمولها لجميع الخلق في الدنيا مؤمنهم وكافرهم، بينما الرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة .يقول ابن القيم في "بدائع الفوائد" :"الرحمن ذو الرحمة الشاملة لجميع خلقه في الدنيا والآخرة، والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين يوم القيامة .

وفي سياق العلاقات البشرية، توظِّف الرحمة القرآنية في سياقات عدة تتراوح بين رحمة الوالدين بأبنائهم، ورحمة الأقوياء بالضعفاء، والرحمة بالحيوان والبيئة .ومن أبلغ ما ورد في هذا الشأن قوله تعالى آمرًا بالرحمة بالوالدين :

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء :24

،وهذه الآية نموذج بياني رفيع في توظيف الرحمة؛ فهي تربط بين الرحمة بالوالدين والرحمة الإلهية موحيةً بأن الإنسان الذي يرحم والديه يستجدي رحمة الله وينشدها لهم، وكأن الرحمة البشرية نافذة ترتفع إلى الرحمة الإلهية الكبرى .

- **أنواع الرحمة في المنظور القرآني**

تتعدد أنواع الرحمة التي يستعملها القرآن الكريم ويوظِّفها في سياقاته المختلفة، وهو تعدد يكشف عن ثراء دلالي يتناسب مع ثراء حقيقة الرحمة في الكون والحياة .**ويمكن إجمال هذه الأنواع في ثلاثة مستويات أساسية :**

المستوى الأول هو الرحمة الإلهية الكونية الشاملة التي تسع كل شيء، وهي التي أشار إليها قوله تعالى :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف :156

،فهذه الرحمة لا تقتصر على بني آدم بل تشمل جميع المخلوقات من جمادات ونباتات وحيوانات بل تشمل الوجود كله في حقيقته .وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية تُشير إلى أن وجود الكون ذاته رحمة إلهية، إذ إن الله سبحانه لو شاء لما أوجد شيئًا .

والمستوى الثاني هو الرحمة الإلهية الخاصة بالمؤمنين التي تتجلى في هداية القرآن والإسلام والتوفيق للطاعة، كما في قوله تعالى :

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾الأنعام :155

فهنا تُجعل الرحمة ثمرةً للهداية والاتباع، مما يُشير إلى أن هذا النوع من الرحمة ليس عطاءً اعتباطيًا بل هو جزاء السعي الإيجابي نحو الله والتزام أوامره .

والمستوى الثالث هو رحمة البشر بعضهم ببعض، وهو المستوى الذي أولاه القرآن اهتمامًا خاصًا ليس فقط بالدعوة إليه بل بجعله شرطًا للظفر بالرحمة الإلهية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس ."وفي هذا المستوى تقع الرحمة الزوجية موضعًا رفيعًا محفوظًا" في الآية الكريمة من سورة الروم .

- **الفرق بين الرحمة والرأفة .**

،مما ينبغي التنبيه عليه في هذا السياق الفرقُ الدقيق بين الرحمة والرأفة في الاستخدام القرآني وذلك لأن كثيرًا من الدارسين يُساوون بين اللفظين متناسين الفروق الدلالية الهامة بينهما .وقد أشار القرآن إلى هذا الفرق بجمعهما في موضع واحد في قوله تعالى :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة :128

وقد قال العلماء في الفرق بينهما :إن الرأفة أشد الرحمة وأعلاها، أي أنها المرتبة القصوى من الرحمة التي لا تحتمل معها أي عنف أو شدة، بينما الرحمة قد تقتضي أحيانًا شيئًا من الشدة والتأديب انطلاقًا من الحرص على المرحوم وتربيته .ومن هنا جاء قوله تعالى في حد الزنا :﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ النور :2، ناهيًا عن الرأفة دون الرحمة لأن الرأفة هي التي تُعطِّل التطبيق أكثر من الرحمة .

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل في القرآن الكريم هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بُعث رحمةً للعالمين وقدوةً في المودة والرحمة لكل زوج وأسرةوعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد هذه الجولة العلمية الممتعة في رحاب الإعجاز البياني لآيات المودة والرحمة في القرآن الكريم، يخرج الباحث بيقين متجدد بأن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي لا تنضب عجائبها ولا تنقطع أسرارها مهما تقادم الزمن وتجددت العلوم والمناهج. فكل وقفة تحليلية أمام كلمة قرآنية واحدة كـ"مودة" أو "رحمة" تكشف عن عمق لا يُحاط به وثراء لا يُستنفَد، مما يُجدِّد في قلب الدارس الإيمانَ بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من صنع بشر .

وقد انطلقت هذه الدراسة من إشكالية محورية هي: ما وجوه الإعجاز البياني في اختيار القرآن الكريم للفظتَي المودة والرحمة لوصف العلاقة الزوجية دون سواهما من المفردات الدالة على المحبة؟ وقد سعت للإجابة عن هذه الإشكالية عبر مسارات ثلاثة متكاملة: التأصيل النظري للإعجاز البياني ومفهومَي المودة والرحمة، ثم التحليل البياني التفصيلي لآية الروم (21) وسياقاتها، ثم التطبيق والتنزيل على الواقع الأسري المعاصر .

وقد تبيَّن من خلال هذه المسارات أن الإجابة عن الإشكالية المحورية تتشعَّب لتُغطِّي أبعادًا لغوية وبلاغية ونفسية واجتماعية وتشريعية وروحية، وأن الإعجاز في آية الروم لا يكمن في كلمة بعينها ولا في صورة بلاغية واحدة بل هو نسيج متكامل تُؤلِّف أجزاؤه معًا لوحةً بيانية تعلو على طاقة أي قلم بشري .

النتائج

1. ثبت بالاستقراء والتحليل أن الإعجاز البياني في القرآن الكريم يتجلى في مستويات متعددة تشمل اختيار اللفظة ونظم الجملة والسياق الكلي والإيقاع الصوتي، وأن عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم قد أرسى الأساس العلمي الأمتن لفهم هذا الإعجاز حين جعله في طريقة تأليف الكلام لا في مجرد المفردات المنفردة.

2. تبيَّن أن كلمة "مودة" في أصلها اللغوي تحمل ثلاثة أبعاد دلالية متكاملة هي: الاستقرار والديمومة في المحبة، والتوجه الإيجابي نحو الآخر بالتمني والخير، والارتباط بالمصاحبة والمخالطة الفعلية؛ وهذه الأبعاد الثلاثة مجتمعةً تجعل المودة الأنسب لوصف التعلق العاطفي في الحياة الزوجية دون سائر ألفاظ المحبة.

3. كشف التحليل أن كلمة "رحمة" تتميز من بين ألفاظ الحنان والعطف بأنها رقة فاعلة تستلزم الإحسان وتدفع إلى البذل والرعاية، وأن ارتباطها الوثيق بأسماء الله الحسنى (الرحمن الرحيم) يُضفي عليها في الوعي الإسلامي بُعدًا إلهيًا يجعل الرحمة الزوجية انعكاسًا من انعكاسات الرحمة الإلهية الكبرى في قلوب الزوجين.

4. أثبت التحليل السياقي أن وضع آية المودة والرحمة (الروم: 21) بين آيتَي خلق الإنسان من تراب والخلق الكوني للسماوات والأرض هو وضع إعجازي مقصود يُنزِّل العلاقة الزوجية منزلة الآية الكونية الكبرى، ويُصرِّح بأن الحب الذي يجمع رجلًا وامرأة في إطار الزواج ليس أقل في عظمته من آيات الكون المُبهِرة.

5. تبيَّن أن الجمع بين لفظتَي المودة والرحمة في آية الروم يُغطِّي الطيف الكامل للحياة الزوجية زمانًا وحالًا؛ فالمودة تصف الحياة الزوجية في أوقات الرخاء والشباب والفرح، والرحمة تصفها في أوقات الضعف والمرض والشدة، والجمع بينهما يُنتج وصفًا كاملًا لا ثغرة فيه يشمل جميع مراحل الحياة الزوجية وجميع أحوالها.

6. ثبت بالمقارنة الدلالية أن الألفاظ البديلة كالحب والهوى والألفة والشفقة والعطف لا تُؤدي مجتمعةً ما تُؤديه ثنائية (مودة + رحمة) من الدلالة الكاملة المتوازنة على العلاقة الزوجية، مما يُثبت أن اختيار هاتين اللفظتين تحديدًا هو الاختيار الأمثل الذي لا يحتمل التحسين.

7. كشفت الدراسة الاستقرائية لجميع مواضع المودة والرحمة في القرآن الكريم أن التوزيع الدلالي لكل منهما على امتداد القرآن كله يتسق اتساقًا تامًا مع توظيفهما في آية الروم، مما يُشير إلى منظومة معرفية متماسكة تُعبِّر عن علم محيط لا يُمكِن أن يكون بشريًا.

8. أثبت البحث أن الفعل "جَعَلَ" في الآية الكريمة دلالة على أن المودة والرحمة إيداع إلهي في الفطرة البشرية لا اكتساب إرادي محض، وأن هذا الإيداع الفطري هو الذي يُفسِّر ظاهرة نشأة الحب الزوجي التلقائي وينفي عنه طابع الصنعة والتكلف.

9. تبيَّن أن التحديات الأسرية المعاصرة بتنوعها وتشعبها تُرجَع في جذورها إلى أزمة غياب المودة والرحمة أو ضعفهما، سواء أكان هذا الغياب بفعل ثقافة الفردية الاستهلاكية أم الثورة الرقمية أم الضغوط الاقتصادية أم الفراغ الروحي.

10. ثبت أن المنهج النبوي في الحياة الزوجية يُمثِّل التطبيق العملي الأكمل لثنائية المودة والرحمة، وأن السنة النبوية تُقدِّم بالتفصيل العملي كيفية تجديد المودة وصيانتها وكيفية ممارسة الرحمة الزوجية في اليومي والعادي قبل الاستثنائي والأزموي.

11. خلص البحث إلى أن الرؤية القرآنية للمودة والرحمة ليست مجرد قيم أخلاقية مجردة بل هي منظومة متكاملة من المفاهيم والمبادئ التي يمكن ترجمتها إلى برامج تأهيل زواجي وإرشاد أسري وسياسات ثقافية تُعالج الأزمة الأسرية المعاصرة معالجةً جذرية.

12. أكَّد البحث أن الإعجاز البياني في آية الروم (21) لا يُدرَك من قراءة واحدة بل هو ذو طبقات متعددة تتكشف بالتأمل المتجدد والدراسة المستمرة، وهو ما يُفسِّر الدعوة القرآنية الختامية في الآية ذاتها إلى التفكر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

13. كشف البحث أن الإعجاز في اختيار الصيغة الصرفية "مودة" (على وزن مَفعَلة الدالة على المبالغة) دون مجرد "وُدّ" يُضيف بُعد الكثافة والرسوخ إلى دلالة المحبة الزوجية، مما يجعل المودة في آية الروم أعلى درجةً من الوُدّ العادي وأثبت في القلب وأشد تأثيرًا في الحياة.

14. توصَّل البحث إلى أن مبدأ "تفسير القرآن بالقرآن" يُمثِّل المنهج الأكثر إنتاجيةً في دراسة الإعجاز البياني، وأن مقارنة مواضع اللفظة القرآنية بعضها ببعض تُثري الفهم الدلالي وتكشف أبعادًا إعجازية لا يُمكِن اكتشافها بالدراسة المعزولة لكل موضع على حدة.

15. أثبت البحث أن الآية الكريمة تُؤسِّس برؤيتها الكاملة لفلسفة الزواج الإسلامي قاعدةً أشمل مما يُقدِّمه أي علم نفسي أو اجتماعي بشري؛ إذ تجمع في آنٍ واحد بين البُعد الكوني والبُعد الفطري والبُعد الاجتماعي والبُعد الروحي للعلاقة الزوجية.

التوصيات

1. توصي الدراسة بإدراج مادة "الإعجاز البياني في القرآن الكريم" مادةً مستقلة في مناهج التعليم الجامعي لأقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مع التركيز على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يجمع بين العلوم اللغوية والبيانية والتفسيرية.

2. توصي الدراسة بتخصيص برامج أكاديمية متخصصة في الجامعات العربية والإسلامية لدراسة الإعجاز البياني في آيات الأحكام الأسرية تحديدًا، لأنها الأقدر على تحقيق الجمع المثمر بين البيان القرآني والتشريع الإسلامي وعلم النفس الأسري الحديث.

3. توصي الدراسة بإنشاء مراكز متخصصة في الإرشاد الأسري الإسلامي تجمع بين المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن من جهة والمتخصصين في علم النفس الأسري من جهة أخرى، على أن تكون قيم المودة والرحمة القرآنية المرجعية الأساسية لهذه المراكز في معالجة الأزمات الأسرية.

4. توصي الدراسة بتطوير مناهج تأهيل زواجي شاملة مستلهَمة من الرؤية القرآنية للمودة والرحمة، تُقدَّم للمقبلين على الزواج في المساجد والمراكز الإسلامية والمؤسسات التعليمية، لتحصين الأسرة المسلمة قبل نشوء المشكلات لا بعدها.

5. توصي الدراسة بتكثيف البحث العلمي في مجال الإعجاز البياني للقرآن الكريم وتوجيهه نحو المقاربات التطبيقية التي تُترجم أبعاد الإعجاز إلى حلول للإشكاليات المجتمعية المعاصرة، بدلًا من الاقتصار على الدراسات النظرية المجردة.

6. توصي الدراسة المؤسسات الإعلامية والثقافية العربية والإسلامية بإنتاج محتوى إعلامي متوازن يُقدِّم الحياة الزوجية صورةً مستلهَمة من قيم المودة والرحمة القرآنية، ويُصحِّح الصور النمطية المشوَّهة التي ينشرها الإعلام الترفيهي عن الزواج والأسرة.

7. توصي الدراسة بتوجيه الدراسات المقارنة في الفقه الإسلامي وعلم النفس نحو استكشاف نقاط التوافق بين الرؤية القرآنية للمودة والرحمة الزوجية وما توصَّلت إليه الدراسات النفسية الحديثة حول عوامل نجاح الزواج، لإثبات سبق القرآن في كشف ما اكتشفه العلم الحديث لاحقًا.

8. توصي الدراسة علماء التفسير وباحثي الإعجاز البياني بتخصيص دراسات موسَّعة للألفاظ القرآنية التي تصف العلاقات الإنسانية، واستخدام المنهج الاستقرائي المقارن الذي يرصد اللفظة في جميع مواضعها القرآنية لرسم خريطة دلالية كاملة تُكشف عن أسرار الإعجاز في توظيف هذه الألفاظ.

9. توصي الدراسة وزارات الشؤون الدينية والأوقاف في الدول العربية والإسلامية بإدراج موضوعات الإعجاز البياني في آيات الأسرة في خطب الجمعة وبرامج التثقيف الديني، لإيصال هذا العلم الرفيع إلى عامة المسلمين لا الاقتصار به على النخبة الأكاديمية.

10. يوصي الباحث بمواصلة دراسة الإعجاز البياني في آيات الأحكام الزوجية الأخرى كآيات الطلاق والإيلاء والظهار ومعاشرة الزوجين، إذ إن ما تضمَّنته هذه الدراسة لم يُغطِّ إلا مساحة من هذا الأفق الواسع الذي يستدعي أجيالًا من الباحثين.

المراجع

1. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.

2. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

3. الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت 502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.

4. الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

5. الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

6. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1413هـ/1992م.

7. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ): أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1412هـ/1991م.

8. الباقلاني، محمد بن الطيب (ت 403هـ): إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1997م.

9. الرماني، علي بن عيسى (ت 384هـ): النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976م.

10. الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

11. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ/1999م.

12. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

13. قطب، سيد (ت 1387هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة – بيروت، ط17، 1412هـ/1992م.

14. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1394هـ.

15. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

16. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ/1994م.

17. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393هـ/1973م.

18. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

19. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت نحو 395هـ): الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ت.

20. الرافعي، مصطفى صادق (ت 1355هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1990م.

21. عبده، محمد (ت 1323هـ): تفسير جزء عم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1994م.

22. رضا، محمد رشيد (ت 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.

23. السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط2، 1427هـ/2006م.

24. السامرائي، فاضل صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

25. الخطيب، عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1975م.

26. الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ.

27. درويش، محيي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة، دمشق – بيروت، ط4، 1415هـ.

28. أبو زهرة، محمد (ت 1394هـ): الأحوال الشخصية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، د.ت.

29. العقاد، عباس محمود (ت 1383هـ): حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

30. البنا، حسن (ت 1368هـ): رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1402هـ.

31. الخولي، أمين (ت 1386هـ): مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، 1961م.

32. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن (ت 1419هـ): الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1992م.

33. الكيلاني، ماجد عرسان: تطور مفهوم الإعجاز القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.

34. ندا، محمد يوسف: أسرار المودة والرحمة في الأسرة المسلمة، دار البيان العربي، القاهرة، ط1، 2005م.

35. شلبي، أحمد: الأسرة المسلمة في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1982م.

36. الصادق، عبد الرحمن: علاقة الزوجين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1995م.

37. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ/1996م.

38. سعيد، لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتَّل، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

39. حواء، سعيد (ت 1409هـ): الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط6، 1424هـ/2003م.

40. الطحان، محمود: تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، ط10، 1425هـ/2004م.